وثابوا، وتراجَعَتِ الرُّوم إلى مواقفهم، وزحفَ خالدٌ بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف، فضربَ فيهم خالدٌ وجَرَجَة من لَدُن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلّى المسلمون صَلاة الظهرِ وَصلاةَ العَصْرِ إيماءً، وأصيبَ جَرَجَة ـ رحمه الله ـ ولم يُصَلِّ لله إلا تلك الركعتين مع خالدٍ رضي الله عنهما. انتهى.

وقال الحافظ في الإصابة (١/ ٢٦٠): ذكره ابن يونس الأزدي في فتوح الشام، ومن طريق أبي نُعَيم في الدلائل وقال: جرجير، وقال سَيْف بن عمر في الفتوح: جَرَجَة، وذكر أنه أسلم على يدي خالد بن الوليد واستشهد بالبرموك؛ وذكر قصته أبو حذيفة إسحاق بن بشر في الفتوح أيضاً لكن لم يُسَمِّه. انتهى.

وذكر في البداية (٦/ ٣٤٥) عن خالد رضي الله عنه: أنه قام في الناس خطيباً، فرغَّبهم في بلاد الأعاجم، وزَهَّدَهُمْ في بلاد العرب، وقال: ألا تَرَوْنَ ما ههنا من الأطعمات، وباللّهِ لو لم يلزمْنا الجهادُ في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ولم يكنْ إلا المعاش[1] ـ لكان رأيٌ أن نقاتل على هذا الريف[2] حتى نكون أولى به، ونُولي الجوع والإقلال[3] من تولاه ممن اثّاقل عما أنتم عليه ـ انتهى. وأسنده ابن جرير في تاريخه (٢/ ٥٥٩) من طريق سَيْف عن محمد بن أبي عثمان بنحوه.

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله في القتال في عهد عمر رضي الله عنه ووصيته الأمراء بذلك

كتاب عمر إلى سعد لدعوة الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام

أخرج أبو عُبَيْد عن يزيدَ بن أبي حبيب قال: كَتَبَ عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهما: أني قد كنتُ كتبتُ إليك أن تَدْعُوَ الناسَ إلى الإسلام ثلاثة أيام، فمن استجابَ لك قبل القتال فهو رجلٌ من المسلمين، له ما للمسلمين وله سَهْمٌ[4] في الإسلام، ومن استجابَ لك بعد القتال أو بعد الهزيمة فماله فيء للمسلمين لأنهم كانوا قد أحرزوه[5] قبل إسلامه. فهذا أمري وكتابي إليك؛ كذا في الكنز (٢/ ٢٩٧).

---

(١) المعاش: ما تقوم به الحياة من مطاعم ومشارب.
(٢) الريف: هو كل أرض فيها زرع ونخل.
(٣) الإقلال: القلّة والافتقار.
(٤) سهم: أي نصيب في الغنيمة.
(٥) أحرزوه: نالوه وحصلوا عليه.

دعوة سلمان الفارسي يوم القصر الأبيض ثلاثة أيام

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٩) عن أبي البَختريّ: أنَّ جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، فحاصروا قصراً من قصور فارس، فقالوا: يا أبا عبد الله، ألا نَنْهَدُ إليهم[١]؟ قال: دعوني أدعوهم كما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يدعوهم، فقال لهم: أنا رجلٌ منكم فارسي أترون العرب تطيعني، فإنْ أسلمتم فلكم مثلُ الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا، وإن أَبَيتُمْ إلا دِينَكُمْ تَرَكْنَاكُم عليه وأعطيتمونا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغِرُون ـ قال: وَرَطَن[٢] إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين ـ وإن أبيتم نابذناكم على سَوَاءٍ. فقالوا: ما نحنُ بالذي نؤمنُ، وما نحنُ بالذي نعطي الجزية، ولكنا نقاتلكم. قالوا: يا أبا عبد الله، ألاَ نَنْهَدُ إليهم؟ قال: لا، فدعاهم ثلاثة أيام إلى مثل هذا. ثم قال: انْهَدُوا إليهم فَنَهَدُوا إليهم. قال: ففتحوا ذلك الحصن. وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك كما في نَصْب الراية (٣/ ٣٧٨) بمعناه وفيه: فلما كان في اليوم الرابع أمر الناس فغدَوا إليها ففتحوها. وأخرجه ابن أبي شيبة كما في الكنز (٢/ ٢٩٨). وأخرجه أيضاً ابن جرير (٤/ ١٧٣) عن أبي البَختري قال: كان رائد المسلمين سلمانُ الفارسيّ، وكان المسلمون قد جعلوه داعِيَةَ أهلِ فارس. قال عطيّة: وقد كانوا أمّروه بدعاء أهل بَهْرَسِير[٣]، وأمّروه يوم القصر الأبيض، فدعاهم ثلاثاً ـ فذكر الحديث في دعوة سلمان رضي الله عنه بمعناه.

دعوة النعمان بن مقرّن وأصحابه لرستم يوم القادسية

وذكر ابن كثير في البداية (٧/ ٣٨) أنَّ سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه بعث جماعة من السادات منهم: النُّعمان بن مُقرّن، وفُرَات بن حيّان، وحنظلة بن الربيع التميمي، وعُطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة. وعمرو بن معديكَرِب، رضي الله عنهم، يدعون رُسْتم إلى الله عزّ وجلّ. فقال لهم رُستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا أخْذَ بلادكم، وَسَبْيَ نسائكم وأبنائكم، وأخذَ أموالكم، فنحنُ على يقين من ذلك. وقد رأى رُستم في منامه كأن مَلَكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كلّه ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر رضي الله عنه.

---

(١) ننهد إليهم: ننهض إليهم للقتال.

(٢) رطن: أي تكلم بكلام لا يفهمه الجمهور.

(٣) بهرسير: بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهملة وياء ساكنة وراء: موضع من نواحي سواد بغداد قرب المدائن وهي معرّبة من ده أردشير أو به أردشير.

دعوة المغيرة بن شعبة لرستم

وقال سيف[١] عن شيوخه: ولمّا تواجَهَ الجيشانِ بَعَثَ رُستم إلى سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة. فلما قدم إليه جعل رُستم يقول له: إنّكم جيرانُنا وكنا نُحْسِنُ إليكم ونكفُّ الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نَمْنَعُ تجارَتَكُم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنّا ليس طلبنا الدنيا وإنما هَمُّنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً، قال له: إني قد سلطتُ هذه الطائفة على من لَمْ يَدِنْ بديني، فأنا منتقمٌ بهم منهم، وَأَجْعَلُ لهم الغلبةَ ما داموا مُقِرّينَ بِهِ، وهو دينُ الحقّ لا يرغب عنه أحدٌ إلا ذلّ، ولا يعتصم به إلا عزّ. فقال له رُستم: فما هو؟ فقال: أما عمودُه الذي لا يصلحُ شيء منه إلا به فشهادة أن لا إلٰهَ إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله. فقال: ما أحسنَ هذا!! وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، قال: وَحَسَنٌ أيضاً. وأي شيء أيضاً؟ قال: والناس بنو آدم فهم إخوة لأبٍ وأمّ. قال: وَحَسَنٌ أيضاً. ثم قال رُستم: أرأيت إنْ دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله، ثم لا نقرب بلادكم إلاّ في تجارة أو حاجة. قال: وَحَسَنٌ أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام، فأبَقُوا ذلك وَأَبَوْا أنْ يدخلوا فيه، قبّحهم الله وأخزاهم وقد فعل.

دعوة رِبْعي بن عامر لرستم

قالوا: ثم بعث إليه سعد رضي الله عنه رسولاً آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق[٢] المذهّبة، والزَّرابيّ[٣] الحرير، وأظهر[٤] البواقيت واللآلىء الثمينة، والزّينة المظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل رِبْعي بثياب ضَفِيقة وسيف وتُرْسٍ وفرسٍ قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داسَ بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحُهُ ودرعه وَبَيْضَتُهُ[٥] على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحَكَ فقال: إني لم آتِكُمْ وإنّما جئتكم حين دَعَوْتُمُوني، فإن تَرَكْتُمُوني هكذا وإلا رَجَعْتُ. فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل

(١) هو سيف بن عمر التميمي.
(٢) النمارق: الوسائد الصغيرة توضع للإتكاء عليها.
(٣) الزرابي: البسط الفاخرة.
(٤) أظهر: أي أبرز.
(٥) البيضة: المغفر الذي يوضع على الرأس وتبرز منه العيون فقط.

يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرقَ عامتها. فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لِنُخرِجَ مَنْ شاءَ من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيقِ الدّنيا إلى سعتها، ومن جَوْرِ الأديان إلى عَدْلِ الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه؛ فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضيَ إلى موعود الله، قالوا: وما موعودُ الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال مَنْ أبى، والظَّفر لمن بقي. فقالَ رستم: قد سمعتُ مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحبُّ إليكم؟ يوماً أو يومين، قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سنّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخّر الأعداء عند اللقاء أكثرَ من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسَيِّدُهُمْ أنتَ؟ قال: لا، ولكنِ المسلمونَ كالجسد الواحد يُجيرُ أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قطُّ أعزَّ وأرْجَحَ من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذَ الله أن تميلَ إلى شيءٍ من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب!! أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسِّيرة، إن العربَ يَستَخِفُّونَ بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب[1].

دعوة حذيفة بن محصن والمغيرة بن شعبة لرستم في اليوم الثاني والثالث

ثم بعثوا في اليوم الثاني رجلاً، فبعث إليهم حذيفة بن محصَن فتكلم نحو ما قال ربعي، وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فتكلم بكلام حسن طويل، قال فيه رُستم للمغيرة: إنّما مَثَلُكُمْ في دخولِكُم أرْضَنا كمثل الذّباب رأى العسل، فقال: من يوصلني إليه وله دِرْهَمان؟ فلما سَقَطَ عليهِ غَرِقَ فيه، فجعل يطلب الخلاصَ فلا يجدُه، وجعل يقول من يخلّصني وله أربعة دراهم؟! وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ ثعلبٍ ضعيفٍ دَخَلَ جُحْراً في كرم، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه، فلما سَمِنَ أفسدَ شيئاً كثيراً، فجاء بخشبة[2] واستمانَ عليه بغلمانه، فذهب ليخرج فلم يستطع لسَمَنه فضربه حتى قتله، فهكذا تخرجون من بلادنا. ثم استشاط[3] غضباً، وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً. فقال المغيرة: ستعلم. ثم قال رستم للمغيرة: قد أمرتُ لكم بكسوة ولأميركم بألفِ دينارٍ وكسوة ومركوب

(١) الأحساب: شرف الآباء والأجداد.

(٢) في الأصل: «بجيشه» والتصويب من «تاريخ الطبري».

(٣) استشاط: التهب غيظاً.

وتنصرفون عنا. فقال المغيرة: أبَعْدَ أن أوْهَنَّا مُلْكَكم وَضَعْضَعْنا عِزَّكم؟! ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يدٍ وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم(١)!!. فلما قال ذلك استشاط غضباً. انتهى ما في البداية.

وأخرجه الطبري (٤/ ١٠٥) عن ابن الرُّفَيْل عن أبيه وعن أبي عثمان النَّهديّ وغيرهما - فذكر دعوة زُهْرة والمغيرة ورِبْعيّ وحذيفة - رضي الله عنهم - بطوله بمعنى ما تقدم.

بعث سعد طائفة من أصحابه إلى كسرى للدعوة قبل الوقعة

وأخرج ابن جرير عن حصين بن عبد الرحمن قال: قال أبو وائل: جاء سعد رضي الله عنه حتى نزل القادسية ومعه الناس، قال: لا أدري لعلَّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف، والمشركون ثلاثون ألفاً - كذا في هذه الرواية؛ وذكر في البداية (٧/ ٣٨) عن سَيْف وغيره أنهم كانوا ثمانين ألفاً. وفي رواية. كان رُستم في مائة ألف وعشرين ألفاً يتبعها ثمانون ألفاً، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لسابور(٢) فهو أعظمها وأقدمها، وكانت الفيلة تألفه. انتهى؛ ونحو ذلك. فقالوا: لا يَدَ لكم ولا قوّة ولا سلاح، ما جاء بكم؟! ارجعوا. قال قلنا: ما نحن براجعين. فكانوا يضحكون من نَبْلنا ويقولون: «دُوك دُوك»(٣) ويشبهونها بالمغازل. فلمّا أبينا عليهم أن نرجع قالوا: ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ما جاء بكم؟ فقال المغيرة بن شعبة: أنا، فعبر إليهم فقعد مع رُستم على السرير، فَنَخَرُوا وصاحوا. فقال: إنَّ هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم. فقال رستم: صدقت(٤)، ما جاء بكم؟ فقال: إنّا كنّا قوماً في شرّ وضلالة فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه، فكان فيما رزقنا حبّةٌ(٥) تنبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا: لا صَبْرَ لنا عنها، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكلَ من هذه الحبّة. فقال رستم: إذاً نقتلكم. قال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار وأدّيتم الجزية. قال: فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا، وقالوا: لا صُلح بيننا وبينكم. فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم: بل نعبر إليكم. فاستأخرَ المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم؛ كذا في البداية (٧/ ٤٠). وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٥١) من طريق حصين بن

---

(١) على رغمكم: أي على كره منكم.
(٢) سابور: ملك العجم من الأكاسرة.
(٣) دوك: كلمة فارسية معناها مغزل.
(٤) في الأصل «صدق» والتصويب من «ابن جرير».
(٥) حبّة: تطلق على القمح والشعير ونحوهما.

عبد الرحمن عن أبي وائل قال: **شهدت القادسية فانطلق المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ـ فذكره مختصراً.**

وأخرج الحاكم (٣/ ٤٥٦) أيضاً عن معاوية بن قُرّة رضي الله عنه قال: **لما كان يوم القادسية بُعث بالمغيرة بن شعبة رضي الله عنه إلى صاحب فارس. فقال: ابعثوا معي عشرة. فبعثوا، فشدَّ عليه ثيابه ثم أخذ حجفة[1] ثم انطلق حتى أتوه، فقال: ألقوا لي ترساً فجلس عليه. فقال العِلْج[2]: إنكم ـ مَعَاشِرَ العَرَبِ ـ قد عرفتُ الذي حملكم على المجيء إلينا، أنتم قوم لا تجدون في بلادكم من الطعام ما تشبعون منه، فخذوا نعطيكم من الطعام حاجتكم، فإنَّا قومٌ مجوسٌ وإنا نكره قتلكم، إنكم تُنَجِّسُونَ علينا أرضنا. فقال المغيرة: والله ما ذاك جاء بنا، ولكنّا كنّا قوماً نعبد الحجارة والأوثان، فإذا رأينا حجراً أحْسَنَ من حجر ألقيناه وأخذنا غيره، ولا نعرف ربّاً حتى بعث الله إلينا رسولاً من أنفسنا فدعانا إلى الإسلام، فاتّبعناه، ولم نجيء للطعام، إنّا أُمرنا بقتال عدوّنا ممّن ترك الإسلام، ولم نجيء للطعام ولكنا جئنا لنقتل مقاتلتكم ونسبي ذراريكم. وأما ما ذكرت من الطعام فإنّا لَعَمْرِي ما نجدُ من الطعام ما نشبعُ منه، وربما لم نجد رِيّاً من الماء أحياناً، فجئنا إلى أرضكم هذه فَوَجَدْنَا فيها طعاماً كثيراً وماء كثيراً، فوالله لا نبرحُها حتى تكون لنا أو لكم؛ فقال العِلْجُ بالفارسية: صدق. قال[3] وأنت تُفقأ عينك غداً، ففقئت عينه من الغد، أصابته نُشّابة[4]** ـ غريب. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، وقال الذهبيّ: صحيح، وأخرجه الطبراني عن معاوية رضي الله عنه مثله. قال الهيثميّ (٦/ ٢١٥): ورجاله رجال الصحيح.

وذكر في البداية (٧/ ٤١) عن سَيْف: **أنّ سعداً رضي الله عنه كان قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتُهم على عواتقهم[5]، وَسِياطِهِم بأيديهم، والنّعال في أرجلهم، وَخُيولِهِمُ الضعيفة، وَخَبْطِها الأرض بأرجلها؛ وجعلوا يتعجّبون منها غاية العجب؛ كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَدَدِها وعُدَدِهَا[6]. ولما استأذنوا على الملك يَزْدَجِرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ـ وكان متكبّراً قليل الأدب ـ ثم جعل يسألهم عن**

---

(١) الحجفة: الترس من جلد بلا خشب.

(٢) العلج: الرجل القوي الضخم، ويقال للرجل من كفار العجم.

(٣) القائل هنا هو العلج والمغيرة هو الذي فُقئت عينه.

(٤) النشابة: السهم.

(٥) العواتق: جمع عاتق، ما بين المنكب والعنق.

(٦) العُدَد: جمع عدة بالضم ما أعددته لحوادث الدهر من مال وسلاح.

ملابسهم هذه ما اسمها، عن الأردية والنِّعَال والسِّياط. ثم كلّما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل، فردّ الله فأله على رأسه. ثم قال لهم: ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟! أظننتم أنّا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا؟ فقال له النعمان بن مقرن رضي الله عنه: إنّ الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلّنا على الخير ويأمُرُنا به، ويُعَرِّفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خيرَ الدنيا والآخرة. فلم يَدْعُ إلى ذلك قبيلة إلا صَاروا فرقتين: فرقة تقاربه، وفرقة تباعده؛ ولا يدخل معه في دينه إلا الخواصّ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث. ثم أُمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين: مُكْرَه[1] عليه فاغتبط، وطائع إياه فازداد؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنّا عليه من العداوة والضيق، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دينُ الإسلام، حسّن الحَسَن وقبّح القبيح كله. فإن أبيْتُم فأمْرٌ من الشرّ هو أهْوَنُ من آخر شر منه الجِزَاء[2]، فإن أبيتم فالمناجزة[3]. وإنْ أجبتم إلى ديننا، خَلَّفنا فيكم كتابَ الله، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن أتيتمونا بالجِزَى[4] قَبِلْنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزدجرد، فقال: إنّي لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقلّ عدداً ولا أسوأ ذات بَيْنٍ منكم؛ وقد كنّا نوكل بكم قرى الضواحي[5] ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرّنكم منّا، وإن كان الجَهْد[6] دعاكم؛ فرضنا لكم قوتاً إلى خِصبكم، وأكرمنا وجوهكم[7] وكسوناكم، وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم. فأسكت القوم، فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال: أيها الملك؛ إنّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشرافٌ يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشرافَ الأشرافُ، ويعظِّم حقوق الأشرافِ الأشرافُ، وليس كلّ ما أرسلوا له جمعوه لك، ولا كلّ ما تكلّمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك. فجاوبني، فأكون أنا الذي أبلّغك ويشهدون على ذلك. إنّك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً. فأمّا ما ذكرت

---

(١) في الأصل «مكروه» والتصويب من الطبري.

(٢) الجزاء: جمع جزية.

(٣) المناجزة: المقاتلة.

(٤) الجزى: جمع جزية.

(٥) المعنى أنّا لم نكن نحتاج لغزوكم بل يقوم أهل البوادي بمقابلتكم ويكفونا شرّكم.

(٦) الجهد: المشقة وضيق العيش.

(٧) وجوهكم: ساداتكم.

من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا، وأمّا جُوعُنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكلُ الخنافس[١] والجِعْلان[٢]، والعقارب والحيّات، ونرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غَزَلْنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم؛ ديننا[٣] أن يقتلَ بعضُنا بعضاً، وأن يبغيَ بعضنا على بعض، وإنْ كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حيّة كراهيةَ أن تأكل من طعامه. وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك. فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته خير بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو نفسه كان خيرَنا في الحال التي كان فيها أصدَقَنا وأحلَمنا. فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من يَرْبِ كان له وكان الخليفة من بعده. فقال وقلنا، وصدَّق وكذَّبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتباعه؛ فصار فيما بيننا وبين ربّ العالمين. فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا: «إنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: أنا اللّهُ وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي، كُنْتُ إذْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلا وَجْهِي، وأنا خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَإلَيَّ يَصِيرُ كُلُّ شَيْءٍ، وإنَّ رَحْمَتِي أدْرَكَتْكُمْ. فَبَعَثْتُ إلَيْكُمْ هذا الرَّجُلَ لأدُلَّكُمْ على السَّبِيلِ التي أُنْجِيكُمْ بها بَعْدَ المَوتِ مِنْ عَذابِي، وَلأُحِلَّكُمْ دَارِي دَارَ السَّلامِ». فتشهد عليه أنه جاء بالحقّ من عند الحقّ. وقال: «مَنْ تَابَعَكُمْ على هٰذا فَلَهُ ما لَكُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْكُمْ، ومن أبى فاعْرِضُوا عَلَيْهِ الجِزْيَةَ ثم امْنَعُوهُ مما تَمْنَعُونَ مِنْهُ أنْفُسَكُمْ، وَمَنْ أبى فَقاتِلُوه؛ فأنا الحَكَمُ بَيْنَكُمْ، فَمَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ أدْخَلْتُهُ جَنَّتِي، وَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ أعْقَبْتُهُ النَّصرَ على مَنْ ناواه»؛ فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر، وإن شئتَ فالسّيف، أو تسلم فتنجي نفسك.

فقال يزدجرد: أتستقبلني بمثل هذا؟! فقال: ما استقبلتُ إلاّ مَنْ كلّمني، ولو كلّمني غيرك لم أستقبلك به. فقال: لولا أنّ الرّسُلَ لا تقتلُ لقتلتكم لا شيء لكم عندي، وقال ائتوني بوقْرٍ[٤] من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنّي مرسلٌ إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكّل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور[٥].

---

(١) الخنافس: جمع الخنفساء: دُوَيبة سوداء أصغر من الجُعَل كريهة الرائحة.

(٢) الجعلان: جمع الجعل بالضم: ضرب من الخنافس.

(٣) ديننا: أي عادتنا وشأننا.

(٤) الوقر: الحمل وغالباً ما يستعمل في حمل البغل والحمار «مختار».

(٥) سابور: اسم ملك من ملوك الأكاسرة ولقبه «ذو الأكتاف» لأنه كان يخلع أكتاف العرب تنكالاً بهم.

ثم قال: من أشرفُكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو رضي الله عنه: وافتات[١] ليأخذ التراب، أنا أشرفُهم، أنا سيّد هؤلاء فَحَمِّلْنِيهِ. فقال: أكذلك؟ قالوا: نعم. فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلتَهُ فحمله عليها، ثم انجذب في السّير ليأتوا به سمداً وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُدَيس فطواه[٢]، وقال: بَشِّرُوا الأمير بالظَّفَر، ظفرنا إن شاء الله تعالى. ثم مضى حتى جعل التراب في الحِجر[٣]، ثم رجع فدخل على سمد رضي الله عنه فأخبره الخبر. فقال: أبشروا فقد ـ والله ـ أعطانا الله أقاليدَ[٤] مُلْكِهم؛ وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم. انتهى. وأخرجه ابن جرير الطبري (٤/ ٩٤) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشَّعْبيّ بمثله.

دعوة عبد الله بن المُعْتَم
لبني تغلب وغيرهم يوم تكريت

وأخرج ابن جرير أيضاً (٤/ ١٨٦) من طريق سَيْف عن محمد وطلحة وغيرهما قالوا: لما رأت الروم ـ أي يوم وقعة تكريت ـ أنهم لا يخرجون خرجة إلاّ كانت عليهم ويُهزَمون في كل ما زاحفوهم[٥]؛ تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنَّمِر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر، وسألوه للعرب السّلم، وأخبروه قد استجابوا له، فأرسل إليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وأقرّوا بما جاء من عند الله، ثم أعلمونا رأيكم، فرجعوا إليهم بذلك، فردّوهم إليه بالإسلام[٦]. فذكر القصة.

دعوة عمرو بن العاص في وقعة مصر

وأخرج ابن جرير (٤/ ٢٢٧) من طريق سيف عن أبي عثمان عن خالد وعبادة رضي الله عنهما، قالا: خرج عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة، حتى انتهى إلى باب أليون[٧] واتبعه الزبير فاجتمعا رضي الله عنهما، فلقيهم هنالك أبو مريم ـ جاثليق[٨] مصر ـ ومعه الأسقُف في أهل النيات[٩]، بعثه المقَوقس لمنع بلادهم.

---

(١) وافتات: انفرد برأيه ولم يستشر أحداً.
(٢) فطواه: جاوزه بسرعة.
(٣) حجر الإنسان ما بين يديه.
(٤) أقاليد: مفاتيح.
(٥) زاحفوهم: قاتلوهم.
(٦) أي رجعوا وأخبروهم بإسلامهم.
(٧) أليون: اسم قرية بمصر.
(٨) جاثليق: رئيس للنصارى.
(٩) المعنى أنّ معه من ينوي القتال بصدق وعزم.

فلمّا نزل بهم عمرو رضي الله عنه قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تُعجّلونا لنُعذِر إليكم وتَرَوْن رأيكم بعد؛ فكَفُّوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو: إني بارز فليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، فأجابوه إلى ذلك، وآمَنَ بعضهم بعضاً. فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا: إن الله عزَّ وجلَّ بعث محمداً ﷺ بالحقّ وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدّى إلينا كلَّ الذي أُمِرَ به. ثم مضى - صلوات الله عليه ورحمته - وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة[١]. وكان مما أمرنا به الإعذارُ إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يُجبنا عَرَضْنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظاً لِرَحِمِنا فيكم، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذِمّةً إلى ذمة. ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً، لأن لهم رَحِماً وذمة[٢]. فقالوا: قرابة بعيدة لا يَصِلُ مثلَها إلا الأنبياء، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم؛ فأُديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا؛ فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام، مرحباً به وأهلاً، آمِنّا[٣] حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إن مثلي لا يُخدع ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتُناظِرا قومكما، وإلا ناجزتكم. قالا: زِدْنا. فزادهم يوماً. فقالا: زِدْنا فزادهم يوماً. فرجعا إلى المقوقس فهَمَّ، فأبى أرطبون[٤] أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم[٥]، فقالا لأهل مصر: أمّا نحن فسنجهد أنْ ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام فلا تُصابون فيها بشيء إلاَّ رَجَوْنا أن يكون له أمان. فلم يفجأ عَمْراً والزبير إلاَّ البياتُ[٦] من فَرَقْبَ، وعمرو على عُدَّة، فلقوه فقتل ومن معه ثم ركبوا أكساءهم، وقصد عمرو والزبير رضي الله عنهما لعين شمس.

وأخرج الطبري أيضاً (٤/٢٢٨) عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: لمّا نزل عمرو رضي الله عنه على القوم بعين شمس قال أهل مصر لملكهم: ما تريدُ إلى قوم فَلُّوا[٧] كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم؟! صالحِ القومَ واعتقد منهم[٨]، ولا تعرض لهم ولا تعرِّضنا

---

(١) الواضحة: أي الطاهرة التي لا تخفى.

(٢) رحماً وذمة: الرحم هاجر أم إسماعيل منهم. والذمة هي الحرمة والحق.

(٣) آمنا: أعطنا الأمان.

(٤) أرطبون: قائد رومي.

(٥) المناهدة: هي أن ينهض بعضهم إلى بعض في الحرب.

(٦) البيات: بيّت العدو: أوقع بهم ليلاً.

(٧) فلّو كسرى وقيصر: أي هزموهما.

(٨) اعتقد منهم: خذ منهم عهداً.

لهم، وذلك في اليوم الرابع، فأبي وناهدوهم، فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها. فلما أحسُّوه فتحوا الباب لعمرو رضي الله عنه وخرجوا إليه مصالحين. فقبل منهم ونزل عليهم الزبير رضي الله عنه عَنوة[١].

دعوة الصحابة في إمارة سَلَمة بن قيس الأشجعي في القتال

وأخرج الطبري (٥/ ٩) أيضاً عن سليمان بن بُرَيدة: أنّ أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمّر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سَلَمة بن قيس الأشجعيّ رضي الله عنه، فقال: سِرْ باسم الله، قاتل في سبيل الله من كفر بالله. فإذا لقيتم عدوّكم من المشركين فادْعُوهم إلى ثلاث خِصالٍ: ادْعُوهُم إلى الإسلام، فإنْ أسلموا فاختارُوا دارهم فَعَلَيهِم في أموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيبٌ، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فَلَهُمْ مثلُ الذي لكم وعليهم مثلُ الذي عليكم. فإن أبَوْا فادعوهم إلى الخراج، فإنْ أقرُّوا بالخراج فقاتِلُوا عدوهم من ورائِهِمْ، وَفَرِّغُوهُم لخراجهم ولا تكلّفوهم فوق طاقتهم. فإنْ أبَوْا فقاتِلُوهم فإنَّ الله ناصِرُكم عليهم، فإن تَحَصَّنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تُنْزِلُوهُم على حُكْمِ الله، فإنّكم لا تَدْرُونَ ما حكمُ الله ورسوله فيهم، وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله (فلا تعطوهم ذمّة الله وذمة رسوله)[٢] وأعطوهم ذمم أنفسكم، فإنْ قاتلوكم فلا تَغْلُوا[٣]، ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُوا[٤] ولا تَقْتُلُوا وَلِيداً. قالَ سلمة: فسِرنا حتى لَقِينا عَدُوّنا من المشركين، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين، فأبَوْا أنْ يسلموا، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يُقِرّوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وجمعنا الرّثّة[٥] ـ فذكر الحديث بطوله جداً.

دعوة أبي موسى الأشعري لأهل أصبهان قبل القتال

وأخرج ابن سعد (٤/ ١١٠) عن بشير بن أبي أُمية عن أبيه: أن الأشعريّ نزل بأصبهان

---

(١) عنوة: قهراً وغلبة.

(٢) سقطت من الأصل والتصويب من «الطبري» (٣/ ٢٦٠).

(٣) الغلول: هو الأخذ من الغنمية قبل القسمة.

(٤) التمثيل: هو قطع الأطراف والتشويه.

(٥) الرّثّة: السقَط من متاع البيت.

فعرض عليهم الإسلام فأبَوا؛ فعرض عليهم الجزية، فصالحوه على ذلك فباتوا على صلح، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر، فبادرهم القتال فلم يكن أسْرَعَ مِنْ أنْ أظْهَرَهُ اللّهُ عليهم.

قصص الصحابة في الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية النّاس

قصة إسلام عمرو بن الجموح وما فعل ابنه ومعاذ بن جبل لإسلامه

أخرج أبو نعيم في الدلائل (ص ١٠٩) عن ابن إسحاق قال: لمّا قدم الأنصار المدينة بعدما بايعوا رسول الله ﷺ ظهر الإسلام بها، وفي قومهم بقايا على دينهم من أهل الشّرْك منهم عَمرو بن الجَموح، وكان ابنه مُعاذ قد شهد العَقَبة وبايعَ رسولَ الله ﷺ بها. وكان عَمرو بن الجموح سيّداً من سادات بني سَلَمَة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صَنَماً من خشب يقال له: «مَنَاة» كما كانت الأشراف يصنعون، يَتّخِذُه إلْهاً وَيُطَهّرُه. فلما أسْلَمَ فتيانُ بَني سَلِمَة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عَمْرو بن الجموح، في فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة ـ كانوا يُدلجون بالليل على صَنَم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة وفيها عِذَرُ[1] الناس مُنَكّساً على رأسِهِ. فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عَدَا على إلهنا في هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهّره وَطَيّبَهُ، ثم قال: وايْمُ الله، لو أني أعلم من صنع بك هذا لأُخزِيَنّهُ. فإذا أمسى ونام عَدَوْا عليه ففعلوا به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألْقَوْه يوماً، فغسله وطهّره وطيّبه، ثم جاء بسيفه فَعَلّقَهُ عليه ثم قال: إني والله ما أعلمُ من يَفْعَلْ بك ما ترى، فإنْ كان فيكَ خيرٌ فامتنعْ فهذا السّيف معك. فلما أمسى ونام عَدَوْا عليه فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فَقَرَنُوهُ معه بحبلٍ، ثم ألْقَوْهُ في بئر من أبيار بني سَلِمَة فيها عَذِرَة من عِذَر الناس. وغدا عَمرو بن الجموح فلم يجده مكانه الذي كان فيه، فخرج في طلبه حتى وَجَدَهُ في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه وأبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من قومه، أسلم ـ يرحمه الله ـ وَحَسُنَ إسْلامُهُ.

---

(١) عِذَرُ الناس: أي غائطهم.